العدد الرابع | يونيو/٢٠٢٦م

ثهلان

الفتى ميشكا ومدينة الخبز :
عندما تصبح الرواية كاميرا

المؤرخ بين إثبات الرأي و
التجرد المنهجي

رحالة إسباني في الجزيرة
العربية

انطباعات مرفوع عنها القلم!

HTTPS://THAHLANMAG.COM

المجلة :

ثهلان مبادرة تهدف إلى تطوير مهارات الكتابة الموضوعية والإبداعية، وتعزيز القراءة والتعلّم، وصقل القدرة على التحليل والاستنتاج. وتسعى المجلة إلى بناءٍ جسرٍ بين الأكاديميين وقرّاء التاريخ ومحبيه، متخذةً من التاريخ موضوعاً رئيساً، ومن الثقافة بمفهومها العام أفقاً أوسع لمحتواها.
في هذا العدد حاولنا أن نمزج جمال الصورة بروح الكلمة نرجوا أن نكون قد وفقنا في ذلك.

ولاننسى شركاء النجاح الذين ساهموا معنا في إخراج هذا العدد بأبهى حُلّة كتابنا الأعزاء ، شاكرين لهم ولكم دعمكم وتفاعلكم.

إدارة مجلة ثهلان

الفهرس :

١-طشقند مدينة الخبز
٢- قصة و صورة
٣- سلطة الإنطباع المسبق على المؤرخ
٤- ذكرى تاريخية
٥- رحالة إسباني في الجزيرة العربية
علي باي / دومينجو باديا
٦- انطباعات مرفوع عنها القلم !

طشقند... مدينة الخبز

بقلم : سيد محمود مبشر كاساني

من أكثر المشاهد التي تستوقف الزائر في أوزبكستان تنوع الخبز المعروض في الأسواق والشوارع والمخابز التقليدية.
فالخبز هنا ليس مجرد طعام يومي، بل جزء من الهوية الثقافية والاجتماعية للناس.
ويتفنن الخبازون الأوزبك في صناعته بأشكال وزخارف متعددة، حتى يبدو أحيانًا وكأنه قطعة فنية بقدر ما هو غذاء أساسي.

لكل مدينة في أوزبكستان خبزها الذي تشتهر به، غير أن العاصمة طشقند ارتبط اسمها بلقب خاص هو «مدينة الخبز». ويعود انتشار هذا الاسم إلى رواية كتبها الكاتب الروسي ألكسندر نيفروف Alexander Neverov عام 1923 بعنوان «طشقند مدينة الخبز».

تدور الرواية حول فتى فلاح في الثانية عشرة من عمره يدعى «ميشكا»، يضطر إلى مغادرة قريته الواقعة في منطقة الفولغا الروسية بعد أن ضربتها المجاعة. يفقد الفتى والده وجده وجدته، بينما يسمع من رجال القرية أن الناس يسافرون بالقطار إلى طشقند، حيث يتوفر الخبز بكثرة وبأسعار زهيدة مقارنة بالمناطق المنكوبة.

يخوض ميشكا رحلة شاقة وطويلة نحو آسيا الوسطى، ويعاني خلال الطريق من الحمى والإسهال والجوع. وبعد وصوله إلى طشقند يجد عملًا في بستان يملكه أحد الأثرياء الأوزبك، ويتمكن من ادخار بعض المال لشراء تذكرة العودة. وفي نهاية الرواية يعود إلى قريته في أواخر الخريف، وقد تغيرت ملامحه بفعل الرحلة والعمل، ويحمل معه كيسين كبيرين من الحبوب، لكنه يكتشف أن أمه أصبحت طريحة المرض، بينما مات إخوته جوعًا خلال غيابه.

> يسافر الناس بالقطار إلى طشقند، حيث يتوفر الخبز بكثرة وبأسعار زهيدة مقارنة بالمناطق المنكوبة.

استند نيفروف في روايته إلى أجواء المجاعة الكبرى التي اجتاحت أجزاء واسعة من روسيا السوفيتية بين عامي 1921 و1923، وضربت مناطق مثل سمارا وباشكيريا وشبه جزيرة القرم وأجزاء من أوكرانيا وكازاخستان وغرب جبال الأورال. وتشير البيانات السوفيتية الرسمية إلى أن ضحايا هذه المجاعة بلغوا قرابة سبعة ملايين إنسان، ما جعلها واحدة من أكبر الكوارث الإنسانية في تاريخ روسيا الحديث.
وقد تعددت أسباب هذه الكارثة، إلا أن أبرزها كان سياسة المصادرة القسرية للحبوب التي اتبعتها السلطات السوفيتية خلال الحرب الأهلية الروسية ابتداءً من عام 1918، إلى جانب موجة الجفاف القاسية التي ضربت البلاد عام 1921 وأدت إلى تدمير مساحات واسعة من المحاصيل الزراعية.

دفعت المجاعة السكان إلى وسائل قاسية للبقاء على قيد الحياة، فانتشرت مشاهد أكل الحيوانات النافقة والقطط والكلاب والجرذان، ووصل الأمر في بعض المناطق إلى حوادث موثقة من أكل لحوم البشر.
وفي أغسطس/آب 1921 وجهت الحكومة السوفيتية نداءً إلى المجتمع الدولي طالبة المساعدة لمواجهة المجاعة. وتذكر المصادر التاريخية أن الولايات المتحدة وتركيا وتشيكوسلوفاكيا قدمت مساعدات إنسانية عاجلة، بينما اتخذت الحكومة السوفيتية إجراءات داخلية للحد من الكارثة، من بينها مصادرة ممتلكات الكنائس والأديرة في روسيا السوفيتية.
ومع حلول عامي 1924 و1925 بدأ الوضع يتحسن تدريجيًا، فعادت الأسواق المحلية إلى العمل وارتفع الإنتاج الزراعي وانخفضت معدلات الوفيات، غير أن آثار المجاعة بقيت حاضرة لسنوات طويلة في حياة الفلاحين الذين خرجوا من تلك التجربة أكثر فقرًا وخسارة.
أما أوزبكستان، التي كانت تُعرف آنذاك بجمهورية تركستان السوفيتية ذات الحكم الذاتي، فقد تأثرت بالمجاعة بدرجة أقل مقارنة بروسيا وأوكرانيا، وسجلت فيها معدلات وفيات أقل، لكنها عانت أيضًا من نقص الغذاء وارتفاع الأسعار.

وقد تُرجمت رواية «طشقند مدينة الخبز» إلى خمس عشرة لغة، قبل أن تتحول في ستينيات القرن الماضي إلى فيلم سينمائي حمل الاسم نفسه، لترسخ صورة طشقند في المخيلة السوفيتية باعتبارها مدينة النجاة والخبز خلال سنوات الجوع الكبرى.

دفعت المجاعة السكان إلى وسائل قاسية للبقاء على قيد الحياة، فانتشرت مشاهد أكل الحيوانات النافقة والقطط والكلاب والجرذان، ووصل الأمر في بعض المناطق إلى حوادث موثقة من أكل لحوم البشر.

ولا يزال الخبز حتى اليوم يحتفظ بمكانة رمزية خاصة لدى شعوب آسيا الوسطى. ففي الثقافة الشعبية الأوزبكية يُعامل الخبز باحترام كبير؛ فلا يُرمى في القمامة، ولا يُقطع بالسكين في كثير من الأحيان، كما يُعد حضوره أساسيًا في الزيارات العائلية ومناسبات الخطوبة والزواج، ولا تكاد تخلو منه مائدة طعام.

وتشتهر مدينة سمرقند بخبز يعده السكان مختلفًا عن أي خبز آخر في البلاد. وقد حاول كثيرون إنتاجه خارج المدينة، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحصول على الطعم ذاته، ويعزو البعض ذلك إلى طبيعة ماء وهواء سمرقند.

أما مناطق وادي فرغانة، المعروفة بخصوبة أراضيها وكثرة بساتينها، فتشتهر بمهارة خبازيها. وعلى مداخل مدن الوادي تنتشر مئات المخابز التقليدية التي يتوقف عندها المسافرون لشراء الخبز الطازج وحمله معهم إلى بيوتهم أو إلى بيوت الأقارب والأصدقاء، إذ يُعد الدخول إلى منزل من دون خبز أمرًا غير مستحب اجتماعيًا.

> وهكذا بقي الخبز في أوزبكستان أكثر من مجرد غذاء يومي؛ إنه ذاكرة جماعية تختلط فيها معاني الكرم والنجاة والحياة، وتحضر فيها أيضًا ظلال المجاعة القديمة التي جعلت من طشقند، يومًا ما، «مدينة الخبز».

قصة و صورة

باريس لا تحترق.. حكاية صورة

بقلم: فهد ذياب سفران

في الساعات الأولى من صباح الثالث والعشرين من يونيو عام 1940م، التقطت عدسة المصور الألماني فالتر فرينتز واحدة من أكثر الصور إثارة للجدل في التاريخ الحديث. إنها ليست مجرد توثيق لانتصار عسكري خاطف، بل هي تجسيد بصري لصدام الحضارة مع القوة العارية؛ حيث يقف الزعيم الألماني أدولف هتلر بزهو ببذلته العسكرية أمام برج إيفل الشامخ، محاطاً بمهندسه الطموح ألبرت شبير، ونحاته المعتمد أرنو بريكر. تأتي هذه اللقطة في لحظة فارقة سقطت فيها عاصمة الأنوار باريس خلال أسابيع معدودة تحت ضربات (حرب البرق الألمانية)، مخلّفة صدمة كبرى هزت العالم، ومعلنةً بداية حقبة قاتمة من الاحتلال وضعت الهوية الثقافية للمدينة في مواجهة مباشرة مع طغيان السلاح.

قصة و صورة

تتداخل في هذه الصورة أبعاد تاريخية ونفسية عميقة، فالحكاية خلفها تبدأ من رغبة هتلر القديمة في تأمل العاصمة التي طالما أبدى إعجابه بهندستها المعمارية، وفي نفس الوقت ممارسة طقوس النكاية السياسية والثأر رداً على هزيمة ألمانيا السابقة في الحرب العالمية الأولى. والغريب أن هذه الزيارة لم تكن في موكب عسكري ضخم، بل كانت جولة خاطفة لم تدم سوى ثلاث ساعات فقط في الصباح الباكر، خوفاً من تحركات المقاومة الفرنسية. زار هتلر خلالها دار الأوبرا، وحي مونمارت، وضريح نابليون بونابرت في صرح ليزانفاليد، حيث وقف طويلاً يتأمل قبر الإمبراطور الفرنسي هامساً لرفاقه: "هذه أجمل لحظة في حياتي".

لكن البرج العظيم الظاهر في خلفية الصورة يحمل حكاية صامتة لم تلتقطها كاميرا، وتكشف عن جوهر المقاومة الفرنسية الرمزية، فحين علم الفرنسيون بقدوم هتلر الوشيك، قام عمال الصيانة بقطع أسلاك المصاعد الكهربائية للبرج عمداً، مدعين تعذر العثور على قطع غيار بسبب ظروف الحرب.

قصة و صورة

ان الهدف الرمزي عميقاً وبسيطاً: إذا أراد الطاغية المتغطرس أن يرفع علم الصليب المعقوف فوق قمة البرج، فعليه أن يتجشم عناء صعود 1665 درجة على قدميه! وبالفعل، آثر هتلر البقاء على الأرض، واكتفى باللقطة التذكارية من ساحة التروكاديرو. وحتى العلم الذي رُفع قسراً تمزق بعد ساعات بفعل الرياح الباريسية العاتية، وكأن الجغرافيا ترفض الهوية الجديدة المفروضة عليها بقوة السلاح. ومن ناحية التحليل النفسي ونمط التفكير، تفكك الصورة الفكر والتوجه النازي؛ فوجود النحات والمهندس بجانب هتلر في جولة حربية يُبرهن على أن الهيمنة العسكرية يجب أن يتبعها تفوق حضاري ومعماري يُخلّد اسم القائد. كان هتلر يرى في سقوط باريس فرصة تاريخية لاستلهام الخطوط المعمارية الكلاسيكية الفرنسية وتوظيفها لإعادة بناء برلين وتحويلها إلى (جرمانيا) عاصمة العالم الجديدة، التي خطط أن تقزم عواصم أوروبا الكبرى وتصبح المركز الثقافي والسياسي الأوحد للبشرية وفق المنظور النازي.

قصة و صورة

ختاماً،

خبأ التاريخ ضحكته الأخيرة لباريس ليثبت أن روح المدن وعراقتها أقوى من عتاد الجيوش؛ فبعد أربع سنوات من التقاط هذه الصورة، وتحديداً في أغسطس عام 1944م، ومع اقتراب جيوش التحرير، انتابت هتلر حالة من الذعر فأصدر أمره العسكري الصارم للحاكم العسكري للمدينة الجنرال ديتريش فون شولتيتز بتفخيخ برج إيفل والمعالم التاريخية لتدمير باريس بالكامل، متسائلاً عبر الهاتف بغضب حارق: "هل تحترق باريس؟".

لكن كبرياء المدينة وعراقتها الإنسانية انتصرا مجدداً؛ إذ رفض الجنرال الألماني تنفيذ الأمر تفادياً لدخول التاريخ كمخرب للحضارة البشرية، وفضّل عصيان قائده لإنقاذ التاريخ، ليبقى برج إيفل واقفاً بشموخه حتى يومنا هذا، وتتحول هذه الصورة الشهيرة من وثيقة الانتصار النازي إلى دليل تاريخي دامغ على طغاة عابرين مروا بجسدهم في المدينة دون أن يتمكنوا من المساس بروحها، ولتعيش اللقطة أطول بكثير من إمبراطورية أصحابها وجنون عظمتهم الذي انتهى إلى زوال.

سلطة الإنطباع المسبق على المؤرخ:

بقلم : راكان بن غيث العتيبي

يعد الحديث عن الأخطاء التي قد يقع فيها المؤرخون من أكثر الموضوعات التي استأثرت بعناية العلماء والباحثين، ولا سيما بعد تلك النقلة الفكرية الكبرى التي أحدثها ابن خلدون في مقدمته الشهيرة؛ إذ غدت مقدمته منعطفًا فكريًا مهمًا في دراسة التاريخ، صاغ من خلالها منهجًا نقديًا أعاد فحص الأخبار والروايات، وتتبع أسباب الخطأ التي قد يقع فيها المؤرخ من حيث لا يشعر وهو يبتغي الوصول إلى الحقيقة. لقد تناول ابن خلدون عددًا من أخطاء المؤرخين، وفنّد أسبابها ودوافعها، فاتحًا بذلك بابًا واسعًا ظل الباحثون يطرقونه إلى يومنا هذا، يستزيدون منه بحثًا وتأملًا ومراجعة.

ومع كثرة ما كُتب في هذا الباب، يبقى هناك خطأ خفيٌّ شديد الخطورة، قد يقع فيه كثير من المؤرخين من غير أن يشعروا به، وتكمن خطورته في أن الخطأ المعروف يمكن الانتباه إليه ومعالجته، أما الخطأ الذي يتسلل إلى الباحث دون وعي، فإنه قد يستقر في منهجه ويصبح جزءًا من طريقته في التفكير والتحليل. وهذا النوع من الأخطاء لا يظهر في صورة زلل عابر، ولكن يتخفّى خلف القناعة الأولى والانطباع المبكر الذي يتشكل في ذهن المؤرخ قبل أن يبدأ بحثه الفعلي.

فالمؤرخ حين يفكر في دراسة موضوع معين، سواء أكان ذلك بتكليف علمي أم بمبادرة شخصية، يكون في الغالب قد كوّن تصورًا أوليًا عنه، ربما بسبب اطلاع سابق، أو معلومة سمعها، أو نص عابر قرأه في كتاب.

> فالبحث التاريخي مجالٌ يقوم على تتبع الروايات ومقارنتها وتحليلها في ضوء سياقها

ومن هنا تبدأ المشكلة؛ إذ يتحول ذلك التصور الأولي شيئًا فشيئًا إلى أداة إدراكية ينظر من خلالها إلى المادة التاريخية كلها. فيقبل الباحث على النصوص وهو يحمل في داخله نتيجة شبه جاهزة، ثم يبدأ — من حيث يشعر أو لا يشعر— في جمع الشواهد التي تؤيد فكرته، وإهمال ما سواها، حتى تصبح عملية البحث أقرب إلى محاولة إثبات رأيٍ سابق، لا إلى رحلة علمية لاكتشاف الحقيقة.

وعند هذه المرحلة يقع المؤرخ في واحدة من أخطر العثرات المنهجية؛ إذ يبدأ في لَيِّ أعناق النصوص لتنسجم مع تصوره المسبق، فيحمّل العبارات ما لا تحتمل، ويقرأ الروايات بعينٍ منحازة، ويؤول الوقائع تأويلًا يخدم فكرته الأولى. وحينئذ يفقد البحث قيمته الحقيقية؛ لأنه لم يبنَ على قراءة واسعة ومتجردة، بل على معالجة أحادية تحاول تبرير انطباع سابق أكثر من سعيها لفهم الواقع التاريخي كما هو. ويظهر هذا الخطأ بصورة أوضح عند المؤرخين في بدايات تجربتهم البحثية؛ لأنهم ما زالوا في طور التكوين العلمي، ولم يعتادوا بعد على ممارسة الحياد المنهجي الصارم، ولا على مقاومة الانطباعات الأولية التي تتسلل إلى أذهانهم قبل التعمق في المادة العلمية. ولذلك فإن من أهم ما ينبغي أن يعيه المؤرخ هو ضرورة الفصل بين تصوراته المبدئية وبين عملية البحث نفسها، وأن يدخل إلى النصوص بعقل مفتوح لا بعقل ممتلئ بالنتائج المسبقة. إن المؤرخ الحقيقي هو من يقترب من النصوص بعقلٍ مفتوح، ويجعل الأدلة والروايات هي التي ترسم له النتيجة، حتى وإن قادته إلى ما يخالف تصوره الأول. فكلما اتسعت قراءته، وقارن بين الروايات، ووازن بين الأدلة، وراجع تصوراته الأولى بوعي ونقد، اقترب من بناء رؤيةٍ أكثر نضجًا وصدقًا. وعندها فقط يصبح بحثه ذا قيمة علمية حقيقية، ويغدو فاعلًا في ميدانه، قادرًا على تقديم دراسة متماسكة تنبع من قوة الدليل لا من سطوة الانطباع. ومن هنا، فإن معالجة هذا الإشكال لا تكون إلا بتربية المؤرخ لنفسه على الانضباط العلمي، وتقنين أثر تصوّراته الأولية، وتأجيل الأحكام النهائية حتى يستوعب النصوص ويحيط بالسياقات المختلفة إحاطة واعية. فالبحث التاريخي مجالٌ يقوم على تتبع الروايات ومقارنتها وتحليلها في ضوء سياقها، مع ممارسة قدرٍ عالٍ من الصبر والتجرد في التعامل مع المادة التاريخية. وكلما نجح المؤرخ في الابتعاد عن التأثيرات المسبقة والقراءات الجاهزة، ازدادت قدرته على بناء معرفة تاريخية أكثر دقة وعمقًا واتساقًا.

تتجلى قيمة المؤرخ الحقيقية في قدرته على التعامل مع المادة التاريخية بروحٍ نقدية متجردة، تقوم على فحص الروايات ومقارنتها في ضوء سياقاتها وأدلتها، بعيدًا عن الأحكام المسبقة والانطباعات المبكرة. ويتشكل الفهم التاريخي عبر مسارٍ تراكمي يحتاج إلى التأني في القراءة، ودقة الموازنة بين المصادر، والقدرة على مراجعة التصورات الأولى كلما اتسعت دائرة الاطلاع. ولعل من المهم الاعتراف بأن الوقوع تحت تأثير الانطباع المسبق ليس أمرًا نادرًا أو بعيدًا، بل قد يقع فيه الباحث دون أن يشعر، وقد وقعت في ذلك غير مرة حتى تنبّهت إلى أثره في طريقة القراءة والتحليل. ومن هنا تبرز ضرورة أن يراجع المؤرخ نفسه باستمرار، وأن يراقب الطريق التي تتشكل بها قناعاته قبل أن تتحول إلى أحكام تقود بحثه من حيث لا يشعر. فكلما اتسم عمل المؤرخ بالصبر في التحليل ومرونة النظر في النصوص، واقترب من المادة التاريخية بعقل الباحث عن الحقيقة لا بعقل الباحث عن تأكيد موقفٍ سابق، ازدادت قيمة دراسته وارتفع مستوى نضجها العلمي.

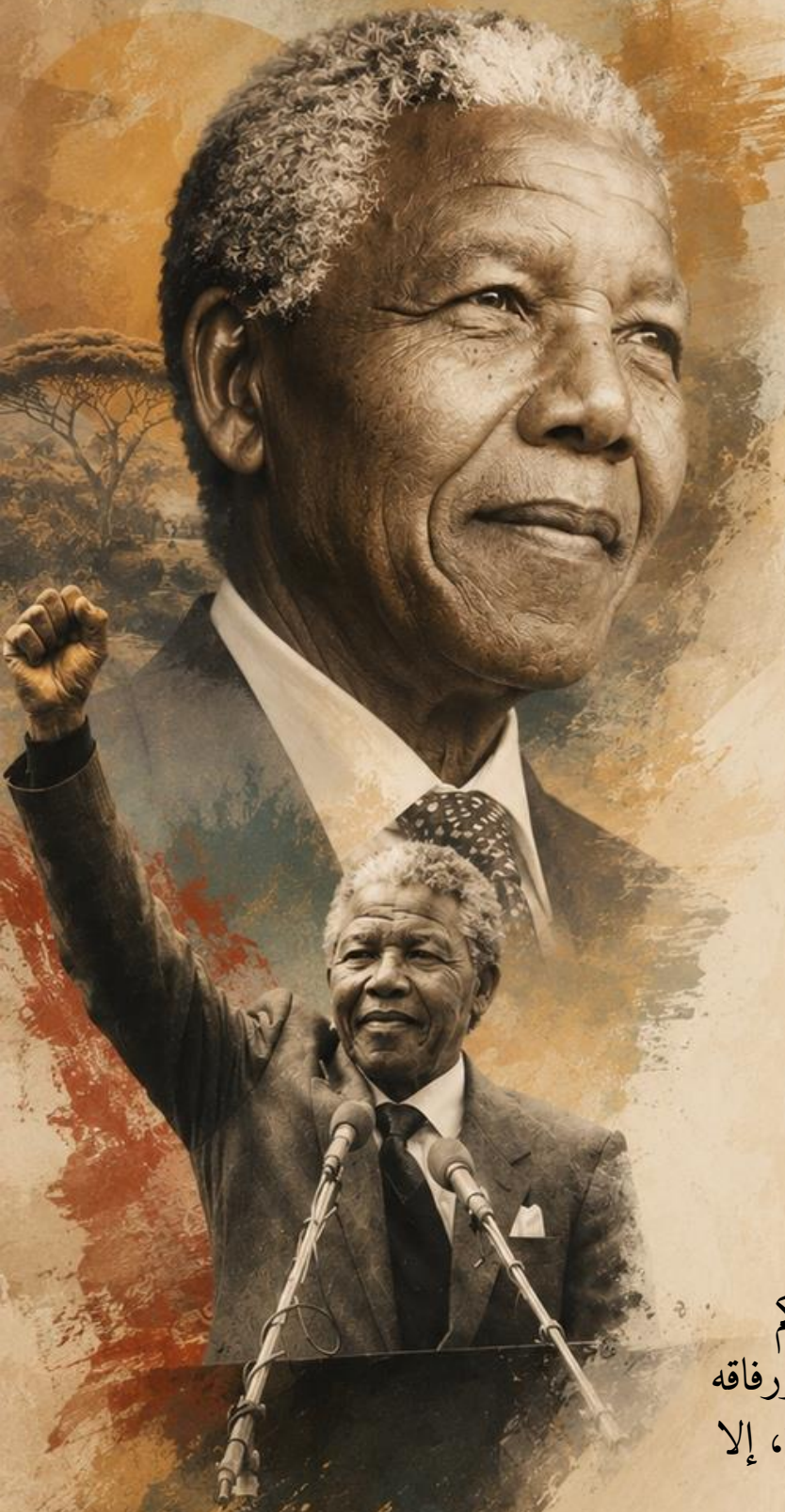

السجين رقم ٤٦٦٦٤

بقلم : ثامر الحريصي

قبل ٦٢ عاماً، وفي شهر يونيو، نطق قاضي المحكمة العليا بجنوب أفريقيا بحكمه، قائلاً: "لقد قررت ألا أفرض العقوبة القصوى (الإعدام)... لكن هذا هو القدر الوحيد من الرأفة الذي أستطيع إظهاره. ستكون عقوبة جميع المتهمين السجن مدى الحياة."

كان ذلك الحكم الذي نطق به القاضي كوارتوس دي فيت Quartus de Wet، الذي ترأس محكمة ريفونيا لعامي ١٩٦٣ - ١٩٦٤م، قبل أن يغادر القاعة مسرعاً دون أن ينظر حتى إلى المتهمين!

ورغم ضغط الادعاء العام ونظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) بهدف إصدار حكم الإعدام بحق المناضل (نيلسون مانديلا) ورفاقه بتهمة التخريب ومحاولة الإطاحة بالحكومة، إلا أن السجن حال دون إعدامه!

فكانت كلمات القاضي الأخيرة، وأصوات الاستهجان، وصيحات الحضور بشعارات المقاومة، آخر ما سمعه السجين (٤٦٦٦٤) قبل أن يتم إرساله إلى زنزانته في روبن آيلاند Robin Island، لتكون تلك البداية لأحد أشهر رموز النضال في القرن العشرين!

رحالة إسباني في الجزيرة العربية

علي باي / دومينِجو باديا
إعداد فريق رِحال:
عمر السريهيد
علي القرني
نواف المطيري

تعريف بالشخصية :

دومنجو باديا والمعروف بلقب علي باي العباسي وذلك لانه تقمص شخصية عربية لأداء مهام متنوعه للحكومة الإسبانية.
هو رحالة وجاسوس ومغامر إسباني ولد في في بيسكاي بمقاطعة في كتالونيا في إسبانيا عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٧م، درس الإدارة بتوجيه من والده وأصبح معاونًا إداريًا لوالده مدة من الزمن في غرناطه، وثم بعد ذلك في مدريد، تلقى تعليمه في جامعة بلنسية بدراسته للرياضيات وعلوم الفيزياء والجغرافية والفلك.

تزوج في سنٍّ مبكرة عندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره، ورُزق بمولود بعد زواجه بثلاثة أعوام، ثم انتقل مباشرةً إلى قرطبة، وأصبح مديرًا لأحد المصانع فيه

ومن المعلومات التي نذكرها عن باديا التحاقه بالجيش الإسباني واهتم بدراسة الحصون والقلاع خاصة بالبلاد العربية حين زارها أثناء تواجده في لندن وقبل قيامه بالرحلة إلى شمال أفريقيا، قام بختان نفسه تأكيدًا للشخصية الإسلامية الذي أراد أن تكون شخصيته.

اختلفت دوافع رحلات باديا بحسب المناطق المراد الوصول إليها، وذلك للتحري عن معلومات وعن مسائل معينة، أو لتحقيق طموحات سواء كانت لقادة بلاده في إسبانيا، أم غيرها من الأحلام والتطلعات التي كان يحلم في وجودها نابليون بونابيرت نحو شمال أفريقيا أو المشرق الإسلامي.

مسألة إسلامه لا يعلمها إلا الله خاصة أنه عندما توفي ذكر بأنه وجد صليب داخل ثيابه ومقتنياته، وتعد الفترة التي أرسل بها باديا كانت الكنائس رائده في الرجوع للأحكام، وعندما كلف باديا برحلته الأولى للمغرب نال رضا الحكومة الإسبانية، وهذا يبين أن الكنيسة والحكومة لا يكلفان شخصية دون أن تكون من ديانتهم وعرقهم، وهذا لا يقلل أن باديا تأثر بالإسلام من خلال ما قد رآه ودونه في مذكراته.

واليوم نستضيفه ليعرفنا عن نفسه وينقل لنا تجاربه وأسبابه.

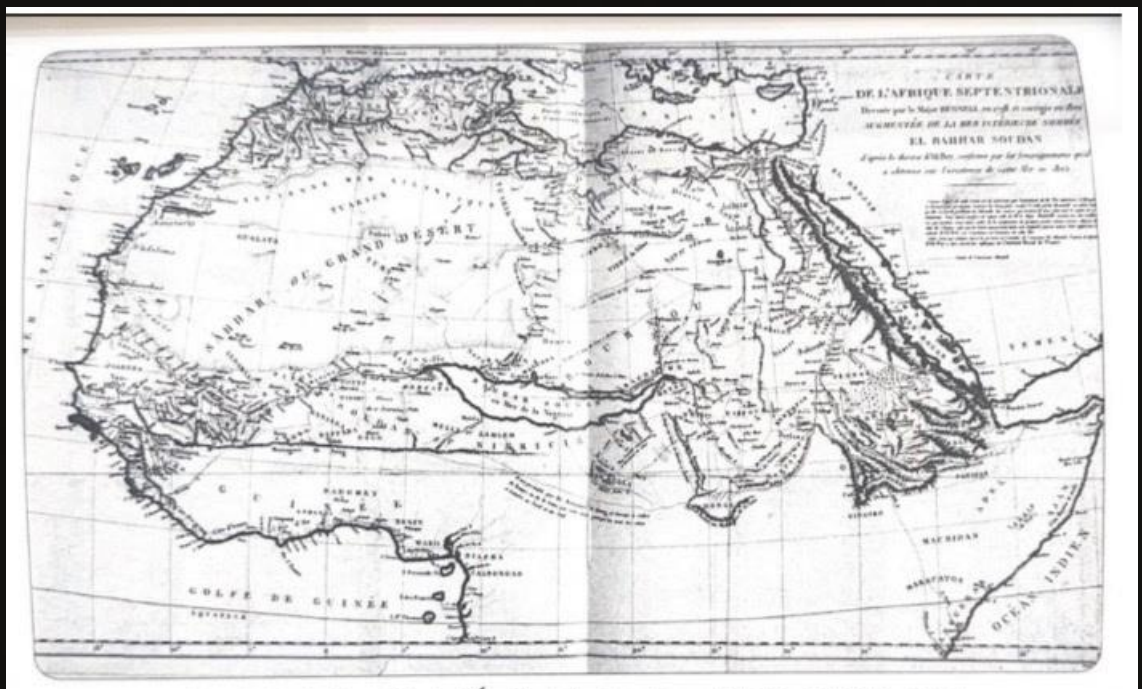

إحدى خرائط علي باي التي رسمها ويبدو فيها واضحاً الجزء الغربي للجزيرة العربية

بداية اللقاء:

فريق رِحال: أهلًا علي باي، من خلال ماذكرنا من سيرتك أعلاه ومن خلال ما نُقِل إلينا من لغتك واسمك ولباسك العربيّ، وُلِد لدينا سؤالٌ مهمٌ، هل هذا اسمك الحقيقي وهل أصولك عربية حتى تُلقّب بالعباسيّ؟

علي باي: أهلا بكم وسعيد بتواجدي معكم اليوم. أما عمّا سألتموني فهذا ليس اسمي الحقيقي، فاسمي هو: دومينغو باديا. ولستُ بعربيٍّ ولا عباسيٍّ كما هو مشهور، فأنا من أصولٍ يهودية ولكنني تنكّرت بزيِّ أميرٍ عربي مسلم وسافرت إلى البلدان العربية مثل: مصر والشام والمغرب والحجاز في بداية القرن التاسع عشر.

فريق رِحال: يا للعجب! ولماذا اخترت اسم علي باي؟

علي باي: لأتمكن من دخول المدن الإسلامية وأتعرف على حياة المسلمين والعرب عن قرب.

فريق رِحال: لقد تشوّقنا لمعرفة رحلتك وتفاصيلها، فدعنا نسألك عن المعدات التي استخدمتها في رحلتك؟

الاسطرلاب، أحد أدوات علي باي في رحلته هذه

كرونومتر، جهاز ضبط الوقت، وهو أحد أجهزة الرصد التي استخدمها باديا في رحلته

آلة الثُمن، إحدى آلات الرصد الفلكي التي استخدمها باديا في رحلته

صورة علي باي العباسي (دومنجو باديا) رسمت سنة 1666م، ويبدو إلى جانبه بعض الأدوات الفلكية

الرحل أو الخرج وهو المعدّ لحمل الأغراض فوق الجمل لدى بدو الصحراء العربية

تكملة اللقاء :

علي باي: أثناء استعدادي لهذه الرحلة أعددت بعض المعدات التي سأحملها معي وهي:

- الاسطرلاب
- والكرونومتر (جهاز لضبط الوقت)
- وآلة الثمن (آلة للرصد الفلكي)
- وتليسكوب (منظار بعيد المدى)

والرحل أو الخِرج (وهو المُعدّ لحمل الأغراض فوق الجمل لدى بدو الصحراء العربية).

فريق رحال : أخبرنا إذًا من أين بدأت رحلتك؟

علي باي: بدأت رحلتي من المغرب بموافقة من ملك إسبانيا

فريق رحال: وكيف أقنعت الملك بذهابك للمغرب!

علي باي: أخبرته بأني سأذهب وأُزودهم بأحوالها وأنقل له الأخبار عن تلك البلاد كجاسوس، رحّب بالفكرة ووضع لي حدًا بأن لا أتجاوز المغرب. ولكن لأكون صادقًا معك طموحي كان أكبر وأبعد من ذلك وأريد أن أطوف حول الشرق والجزيرة العربية.

شهادة تأكيد إشهار الإسلام لباديا كما يبدو، كُتبت في المغرب
بتاريخ 1803/10/5م (1218/6/19هـ)

فرمان السلطان المغربي مولاي سُليمان يمنح بموجبه لعلي باي قصراً ومنزلاً في مراكش.

بئر زمزم

تكملة اللقاء :

فريق رحال: يا للطموح العالي يا علي باي. بعد وصولك للمغرب سمعنا أن السلطان المغربي منحك قصرًا ومنزلا في مراكش، هل هذا صحيح؟

علي باي: نعم صحيح، لقد كنتُ مقربًا من السلطان وبقية الأمراء في المغرب، وقد أهداني ما ذكرتم من قصرٍ ومنزل، ولدي فرمان صادر من السلطان يثبت ذلك.

فريق رِحال: أخبرنا كيف كنت تنقل الأخبار لملك إسبانيا بعدما استقريت في المغرب؟

علي باي: كنت أنقل الأخبار عن طريق رموزٍ سرية، وكنت أحاول أن أُحدِث مشاكل واضطرابات داخلية بين القبائل لتسهيل دخول الإسبان إلى المغرب.

فريق رحال: لقد كنت جاسوسًا بالفعل للإسبان في المغرب رغم كل ما قدمه لك السلطان المغربي سليمان!. وهل فعلت مثل هذا في مصر؟

علي باي: لا، لم أستقر كثيرًا في مصر بسبب الاستعمار الإنجليزي، والانجليز يعرفون ميولي ويعرفون أنني ممول على يد الفرنسيين، وبعد ذلك ذهبت مع حملة مصرية إلى الحج وقمت بتتبع موانى البحر الأحمر الشرقية وكتبت عنها ووضعت لها إحداثيّات للفرنسيين.

فريق رحال: لقد أتيت بسابقةٍ يا علي باي! كيف لرجُلٍ من البادية أن يضع إحداثيات دقيقة وحساسة في زمن مثل زمنكم! (١٨٠٧ م / ١٢٢١ هـ). إذًا لقد ذهبت إلى مكة، أخبرنا ماذا شاهدت في مكة؟

علي باي: شاهدت أحداثًا سياسية مهمة منها دخول القوات السعودية الأولى إلى مكة المكرمة ورأيت الإمام سعود بن عبدالعزيز أثناء الحج.

فريق رحال: أخبرنا كيف رأيت الجيش السعودي هناك؟

علي باي: كانوا منضبطين ومنظمين وقاموا بتنظيم الجموع في عرفة، ومخططاتهم تعتمد على تجمعهم على شكل أفواج، تحت إمرة قائد يتّبعون كل حركاته بلا ترتيب أو تشكيلات. وفي الغزوات يحمل كل رجل جَمَله ومعه الماء والزاد الضروري.

فريق رحال: جميل، أخبرنا كيف رأيت موكب الحج السعودي في عرفات؟

علي باي: رأيت اصطفاف جيشٍ من الوهابيين يقارب عددهم الخمسة وأربعون ألفًا، وكلهم تقريبًا راكبين الجمال، ومعهم آلاف من الجمال الأخرى التي تحمل المياه والخيام والحطب والأعشاب وغيرها. وكانوا لا يحملون معهم لا شعارات ولا طبول ولا أبواق ولا أي آلة عسكرية.

فريق رحال: عند خروجك من مكة وذهابك إلى ينبع سمعنا أن الجيش السعودي قام بحجزك لمدة ، لماذا؟

علي باي: في ليلة من الليالي، كنت أسيرُ في مقدمة القافلة، وسمعتُ ضجة من خلفي، وعندما التفت وجدتُ أحد قائدي الجمال يُهدِّد رئيس خدمي بعصًا غليظة بيده، يُريد إجباره على التراجع، حضرت في الحال لمعرفة ما حدث، كان العربي قد ثارت حميته، وكان السبب أن رئيس خدمي دخَّن الغليون (وقد كان من المحرمات لديهم في تلك الفترة)، ولهذا السبب لن يدعنا نذهب إلى المدينة. لقد بذلت جهدًا كبيرًا كي أُهدئ الرجل العربي وتعهدت له باسمه بأنه لن يعاود التدخين مرة أخرى. فطلب أن يحلف خادمي اليمين، وأن يرمي الغيلون مع القليل من التبغ المتبقي، وبهذه الشروط فقط سمح لنا بمواصلة الرحلة.

فريق رحال: فهل اكتفيت بذهابك إلى هذه المناطق أم أكملت رحلتك لمناطق أخرى في الجزيرة؟

علي باي: لا لم أكتفي بهذه المناطق، بل أكملت رحلتي إلى المدينة المنورة، ولكنهم لم يسمحوا لي بدخولها

فريق رحال: ولماذا مُنِعت من دخولها؟!

علي باي: أثناء رحلتي إلى المدينة المنورة ظهر لي جندًا من الوهابيين ومنعوني من الدخول، ودار بيني وبينهم حديثٌ سريعٌ وسألتهم لماذا منعتموني؟ فقالوا: أن هنالك قرار يمنع دخول المدينة المنورة في هذه السنة بسبب قافلة الحجاج الشامية التي كانت تحمل أسلحة ورجال مسلحين، ولذلك منع الإمام سعود دخول المدينة.

فريق رحال: تبدو رحلتك مشوّقة ومثرية وتتطلع لمعرفة المزيد عنها، لكننا نكتفي بهذا القدر من رحلتك وهو الجزء المهم لنا في رِحال (رحلتك في الجزيرة العربية). هنا ينتهي حوارُنا مع علي باي، ونلتقي بكم في لقاءٍ جديدٍ بإذن الله.

تحليل لشخصية علي باي:

يبدو أن علي باي من وجهة نظرنا كان شخصية عنصرية ضد الأعراق الأخرى وخاصةً ضد العرب، والمُطّلِــع على سيرته وتفاصيل رحلته سيلحظ أنه كان يسقط عليهم وعلى أفكارهم ومعتقداتهم وتشددهم الديني (كما هو يراه تشددًا). ولا ننكر أنه كان منصفًا في كثيرٍ مما رآه في الجزيرة العربية، فقد نقل كثيرًا من الصور والعادات والمعتقدات دون تشويهٍ أو تزوير.تحدث عن الدعوة الإصلاحية السلفية بالدولة السعودية الأولى، حيث كتاباته بهذا الجانب عُدة مرجعية لكثير من الرحالة الأوروبيين ممن جاء بعده، باعتبار انه أفردها بدراسة شاملة لمبادئها وأفكارها وأنها تتميز بالعدل والإنصاف وتحكيم الرأي الصائب والعقلانية، تضمن ذلك أيضًا الدولة التي قامت بحمايتها والاعتراف فيها. كما اتضح من وصف باديّا للسعوديين، أي الدولة السعودية الأولى، أنها سوف تصبح يومًا ما ذات أهمية كبرى، وأن نفوذها سيصل إلى جميع القوى المحيطة بها، وهذا ما تحقق بتوفيقٍ وتيسيرٍ من الله خلال الفترة المتبقية من الدولة الأولى، وما حققته الدولة السعودية الثانية، ثم الدور الثالث من الحكم السعودي بقيادة المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.

وفي الحقيقة كان جاسوسًا ذكيًا فريدًا من نوعه، فقد أتى بسابقة لم يأتي بها رحّالة من قبله، رسم وخطط وصوّر ونقل، نقل كل شيء!، حتى أسعار المنتجات في الدكاكين نقلها، ونقل أنواع النباتات في الجزيرة العربية وخاصةً في مكة، ونقل الحيوانات المشهورة لدى العرب، ونقل شكل وصفات اللباس العربي، ونقل الحالة السياسية في المجتمع المكي وامتثال القبائل لأوامر الإمام وطاعته في السراء والضرّاء.

المصادر والمراجع:

- كتاب (رحالة إسباني في مكة المكرمة) للدكتور صالح بن محمد السنيدي
- محاضرة الدكتور صالح بن محمد السنيدي على يوتيوب) رحلة علي باي العباسي)
- مقطع يوتيوب من قناة السعودية (دومينغو باديا الإسباني الذي سمي لإحقا علي باي العباسي، وسببه الذي دفعه للترحال إلى مكة المكرمة).
- تمت ترجمة جزء بسيط عن نشأته ومسار رحلته من كتاب (Ali-Bey
- Domingo Badia - Arbia Palestina Syria Turquia) تمت الترجمة من قبل الأستاذ سالم الزارع.

انطباعات مرفوع عنها القلم!

بين الأمس واليوم.. أحمد منصور

لبنان، منطقة المتن، بلدة بكفيا ٢٠٠٩م

بيت أمين الجميّل، وفي جنبات الجدران الحجرية الشاهدة على الكثير من الأحداث التاريخية التي صنعت حاضر لبنان اليوم؛ جلس أحمد منصور مقدم برنامج شاهد على العصر، الذي دائماً ما كان يذكرني أسلوب تعامله مع ضيوفه في البرنامج بأسلوب المحققين أمام المتهمين. في داخل هذا البيت الذي كان يشعرني ، عندما أشاهد هذا اللقاء، بفصل الشتاء وبصوت زخات المطر، صوّر أحمد منصور لقاءه الساخن مع الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميّل، وريث حزب الكتائب، كان من أبرز ما علق في ذهني هو مفاجأة أحمد لأمين الجميّل بمعلومة استطاع الحصول عليها تفيد بأن شارون أهدى لأمين رشاش عوزي إسرائيلي، لم ينهي أحمد كلامه حتى بدت ملامح التوتر على وجه ضيفه، وأصبح ينظر إلى الأرض ويحك رأسه، ولم يكن منه إلا أن اعترف. ينتقل بنا المشهد إلى عام ٢٠٢٦ م في منزل أحد أقطاب الحرب اللبنانية، وليد جنبلاط، زعيم الدروز الأسبق في لبنان.

المختلف في هذا المشهد أن الشيب غزا أحمد منصور، وهذه سنة الحياة، ولكن العجيب، والذي لم أتخيله، ظهور أحمد منصور بمظهر الحمل الوديع أمام وليد بك!

أحمد منصور الذي قضى عمره في مجادلة صناع التاريخ ومحاورتهم، وظهوره بمظهر المحقق الباحث، وكثيراً ما غاظني وأغضبني لكثرة مقاطعته الضيوف، يلين هكذا!

هل هي روابط الصداقة التي ربطت أحمد بوليد بك، بردت سخونة اللقاء؟ أم عوامل الزمان التي تلين عريكة الإنسان ألقت بظلالها على هذا المحقق؟

انطباعات مرفوع عنها القلم ... يونيو 2026

تركي بن سلطان

امسح الباركود لزيارة موقع المجلة
:

للتواصل معنا بشأن المجلة (إرسال مقالات،
استفسارات):
THAHLAN@OUTLOOK.COM